(٨٤)

الوَارِثُ ﷻ

قيل لأحد الحكماء: ما لك تدمن إمساك العصا ولست بكبير ولا مريض؟ فقال: لأذكر أني مسافر.

حَمَلْتُ العَصَا لاَ الضَّعْفُ أَوْجَبَ حَمْلَهَا
عَلَيَّ وَلاَ أَنِّي تَحَنَّيْتُ مِنْ كِبَرْ
وَلَكِنَّنِي أَلْزَمْتُ نَفْسِيَ حَمْلَهَا
لِأُعْلِمَهَا أَنَّ المُقِيمَ عَلَى سَفَرْ

أعلن للمسافر أنه: ليس لك إقامة في هذه الدنيا؛ فلا تركن إليها، والإعلان في قوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: ٤٠].

فالله هو: (الوارث ﷻ).

نقف مع اسمه ﷻ: (الوراث ﷻ) نذكر أنفسنا؛ لعل الله يرحمنا:

قال ﷻ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر: ٢٣].

فربنا ﷻ البَاقِي بعد فناء كل الخلائق، الوَارِثُ لجميع الأشياء بعد زوال كل من في الأرض والسماوات الطوابق.

وربنا الوارث ﷻ بلا توريث أحد، الباقي ليس لملكه مد، قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾[مريم:٤٠].

وربنا ﷻ لم يزل مالكًا لأصول الأشياء كلها، يورثها من يشاء، ويستخلف فيها من أحب، قال ﷻ: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾[الأعراف:١٢٨].

وربنا ﷻ الذي يورِّث المؤمنين ديار الكافرين في الدنيا ومساكنهم في الآخرة.

أما الدنيا؛ فالله ﷻ قال: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا﴾[الأحزاب: ٢٧]، وأما الآخرة؛ فالله ﷻ قال: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾[مريم:٦٣]، وقال ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[الأعراف:٤٣].

وكتاب الله ﷻ: كتاب الهداية والعز والفلاح، يورثه من اصطفاهم

واجتباهم لكرامته، قال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[فاطر:٣٢].

❐ ملك الحقيقي..

وكون المؤمن مستخلفاً وذاهبًا إلى ربه؛ فمن كرم الله على المؤمن: أنه أمره بالإنفاق مما وهبه الله له؛ مع أنه من خالص ملكه ﷻ، ثم وعده بالأجر الكبير، قال ﷻ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾[الحديد:٧]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الحديد:١٠]، فالملك الحقيقي: ما ادخره العبد ليوم الميعاد.

في «صحيح مسلم» عن مطرف عن أبيه عبد الله بن الشخير ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾[التكاثر:١]، قال: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي.. مَالِي! وَهَلْ لَكَ -يَا ابْنَ آدَمَ!- مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟».

والمؤمن علم إنَّ يده يد أمانة، وما تحت يده ودائع والله ينظر كيف يعمل!

وَمَا المَالُ وَالأَهْلُوْنَ إِلاَّ وَدِيعَةٌ ... وَلاَ بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ

❐ من وحي الدعاء..

ثم اعلم أن التوسل إلى الله بهذا الاسم داخل في عموم قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]؛ ولا سيما بمراعاة المناسبة بين المطلوب والاسم المذكور؛ كما في دعاء نبي الله زكريا ﷺ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾[الأنبياء:٨٩]، وقال: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾[مريم:٥-٦].

والإرث المذكور هنا: إنما هو إرث علم ونبوة ودعوة إلى الله ﷻ، لا إرث مال، ومثل هذا الإرث المبارك: ما ورد في قوله ﷻ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[النمل:١٦].

وصح عنه ﷺ أنه كان يقول: «اللَّهُمَّ! أَمْتِعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الوَارِثَ مِنِّي»[حديث صحيح. رواه الحاكم في «المستدرك»].

وأشار العلماء عند هذا الاسم: أن العبد ينبغي أن يتقي الله ﷻ في حقوق الإرث؛ فلا يظلم من الورثة أحداً.

اللهم! إنا نسألك باسمك الوارث: أن تمتعنا بأسماعنا وأبصارنا، وتجعلها الوارث منا.